



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



منهج القيم التربوية في رسائل النور

The Approach of Educational Values in the Letters of Light (Risale-i Nur)

د. عبد العزيز التزكيني¹

¹ جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مختبر الترجمة وحوار الثقافات وتكامل المعارف، مراكش، المغرب.

Key words:	Abstract
<i>Educational Values</i>	This research exposes some of the Educational Values that Bediuzzaman Said Nursi discussed in his works called "Letters of Light (Risale-i Nur)", thus clarify the reasons for writing them and identify the approach taken by their author in order to convey his views and ideas to the recipients. The research reached that the author is based on three mechanisms in his approach: the comparison mechanism, the rational proof mechanism, and the repetition mechanism, through which he aims to convince readers of the importance of his educational project that seeks to resurrect Islamic Educational Values that the laical spreading out tried to hide and cover its characteristics.
<i>Approach</i>	
<i>The Rational Proof Mechanism</i>	
<i>Conviction.</i>	

ملخص	معلومات المقال
يسعى هذا البحث إلى الكشف عن بعض القيم التربوية التي تطرق إليها بديع الزمان سعيد النورسي في مؤلفاته المسماة بـ "رسائل النور"، وكذا توضيح الأسباب الباعثة على تأليفها، والتعريف على المنهج الذي سلكه صاحبها بغية إيصال آرائه وأفكاره إلى المتلقين. وتوصل البحث إلى أن المؤلف اعتمد في منهجه على ثلاث آليات، وهي: آلية المقارنة، وآلية البرهان العقلي، وآلية التكرار، يهدف من خلالها إقناع القراء بأهمية مشروعه التربوي الساعي إلى إعادة نشر القيم التربوية الإسلامية التي حاول المدّ العلماني إخفاءها وطمس معالمها.	تاريخ المقال: الإرسال: 2024-03-20 القبول: 2024-06-18
	الكلمات المفتاحية:
	القيم التربوية المنهج آلية البرهان العقلي إقناع.

مقدمة

يتميز الكون بتعدد مخلوقاته وتنوعها وانسجامها وتكاملها، ما يثبت أنه من إبداع خالق عظيم ومتفرد، إذ يُسيّر بتدبير محكم ونظام متين، فلا مجال للصدفة ولا للخطأ فيه؛ وما كان لهذا التكامل الحاصل والتعايش المشاهد أن يتم لولا أن سنّ الله تعالى القوانين المنظمة له، والأخلاق التربوية الضامنة لحقوق كل مخلوق من مخلوقاته عامة، والحفاظة لحقوق كل إنسان خاصة.

وقد شهد القرن العشرين مجموعة من المحاولات الرامية إلى النيل من الإسلام والمسلمين؛ ما دفع العلماء إلى الدفاع عن دينهم ضد الحملات العلمانية العنيفة التي حاولت طمس معالمه. ويبقى بديع الزمان سعيد النورسي (1877 - 1960م) من أبرز العلماء المحدثين الذين استشعروا الخطر الذي يترتب بالمسلمين، وممن أدركوا تمام الإدراك أهمية البعد التربوي في بناء مجتمع إسلامي صالح يحب الفرد فيه لغيره ما يحبه لنفسه، ويغلب فيه المصلحة العامة على المصلحة الفردية وغيرها من القيم الإسلامية السمحة، ومن أجل تبليغ هذه القيم التربوية وغيرها توسل بمنهج محكم يُعين المتلقي على استيعاب أهدافه ومقاصده.

ويهدف مقال "منهج القيم التربوية في رسائل النور" إلى تبيان أهمية القيم التربوية في إصلاح المجتمع، ومدى إسهامها في تطوره وازدهاره، بغية تحقيق هذا المبتغى استوجب البحث الإجابة عن أسئلة جوهرية من أهمها:

- ما دوافع تأليف رسائل النور؟ وما غاياتها؟
- ما أهم القيم التربوية التي دافع عنها النورسي؟
- ما المنهج المتبع لتبليغ أفكاره التربوية؟

1. ظروف تأليف رسائل النور وغاياتها

1.1. واقع الإسلام في عصر النورسي

عاش بديع الزمان سعيد النورسي في عصر عمّه الاضطراب السياسي، والتراجع الفكري، والتفكك الأخلاقي؛ وذلك راجع إلى تمزق العالم الإسلامي إلى دويلات، سقطت معظمها تحت نيران الاستعمار الأوروبي، وأصاب الخلافة العثمانية الانحلال والانهيار والتفكك، ومن الأسباب التي أدت إلى ضعف الخلافة دخول الدولة في حروب عديدة ضد الصليبيين، وكذا قيام اليهود والنصارى بزعزعة الأمن الداخلي للبلاد بـ "بثّ الشائعات، وإثارة الفتن ونشر الأفكار الغربية، وعمل الفساد، وتهديم الأخلاق" (شاكر، 1996، صفحة 6).

ويهدف خصوم الإسلام من مؤامراتهم العديدة إلى إضعاف وحدة المسلمين بإبعادهم عن دينهم، وذلك بالحث على اتباع المنفعة الفردية بدل المنفعة الجماعية، ونشر الفتن والمغريات؛ أملاً في تجزئة أوصال الدولة، ومن ثمة القضاء عليها.

والحق أن المؤامرات التي حاولت طمس معالم الهوية الإسلامية لم يُقدّم عليها اليهود والنصارى فقط، وإنما انخرط فيها بعض حكام الدولة العثمانية أمثال مصطفى كمال أتاتورك (1881 - 1938م) الذي تأثر بالحضارة الغربية تأثراً سلبياً، فسُنّ مجموعة من القوانين ساعدت على "إخماد جذوة الإيمان في قلب الأمة التركية، التي رفعت راية الإسلام عالية في العالم طوال ستة قرون من الزمان.. مُنِع تدريس الدين في كل المدارس، وبُدِّلَت الأرقام والحروف العربية في الكتابة وصيرت إلى الحروف اللاتينية، ومنع الأذان باللغة العربية، وكذا إقامة الصلاة، وجرت محاولات رهيبة لفرض التعبد بتلاوة الترجمة التركية للقرآن الكريم" (الأنصاري، 2006، صفحة 157)، وألغى الحجاب في البلاد، يقول محمود شاكر: "وإن إلغاء الحجاب الذي فرضه مصطفى كمال إنما هو استهتار بالإسلام، وازدراء بالأمة وشعائرها" (شاكر، 1996، صفحة 53).

ولقد كان لهذه المؤامرات والدسائس وغيرها التأثير البالغ والوقع القوي في تغيّر وعي بديع الزمان سعيد النورسي من شخص عُرف فقط بنهله من جل المعارف الإنسانية التراثية والحديث الإسلامية والغربية، إلى وعي مغاير تمثل في محاولته رفع راية الإسلام، والدفاع عن مقدسات المسلمين التي تأمر عليها اليهود والنصارى ومن سار على منوالهم من العرب، بحيث لم يرض عن إحقاق الحق بديلاً، متخذاً من القرآن سراجاً وأساس دعوته التبليغية.

إن التحول الذي طرأ على شخصية النورسي كان مصدره الأساس إدراكه الأخطار التي تنجم عن البعد عن الدين الإسلامي، لأنّه يرى: "إنّ المصيبة التي تعد مصيبة حقاً والتي هي مضرّة فعلاً، هي التي تصيب الدين، فلا بدّ من الالتجاء إلى الله سبحانه والانطراح بين يديه والتضرع إليه دون انقطاع. أما المصائب التي لا تمس الدين فهي في حقيقة الأمر ليست بمصائب" (النورسي، 2011، صفحة 16).

ويرى النورسي أن "الكلمات" التي كُتبت لبيان أسرار القرآن هي أنجع دواء لأمراض هذا العصر وأفضل مرهم يمرر على جروحه، وأنفع نور يبديد هجمات خيول الظلام الحالك على المجتمع الإسلامي، وأصدق مرشد ودليل لأولئك الحيارى الهائمين في وديان الضلالة (...) وإني أعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد منح 'الكلمات' المعروفة، التي هي لمعات معنوية من إعجاز القرآن الكريم خاصية الدواء الشافي والترياق المضاد لسموم زندقته هذه الضلالة في هذا العصر" (النورسي، 1992، صفحة 28).

ومجمل القول، كان للوضع المتردي للإسلام في تركيا وقيمته النبيلة وأخلاقه الفاضلة آنذاك الوقع الكبير على نفسية النورسي التي اشتاقت إلى ذلك الدين الذي بيّنه القرآن الكريم، ووضحه الرسول العظيم، وقرأ عنه في مطالعته التي قاربت كل علوم الدين، فشجذ همته وأخلص نيته للدفاع عنه، غير مبال بكيد الكائدين، وحسد الحساد، ومضايقات أصحاب

الصائبية هو القرآن الكريم" (النورسي، 1992، صفحة 595).

ولقد ظل القرآن في اعتقاده مصدر كل الفضائل، فهو المربي والمعلم الأول، لأنه "يربي الناس ويزكي نفوسهم، ويصفي قلوبهم، ويمنح الأرواح انكشافا ورقيا، والعقول استقامة ونورا، والحياة حياة وسعادة. فلا شك أنه لا نظير لمثل هذا الكتاب ولا شبيه له ولا مثيل" (النورسي، 2005، صفحة 111).

ومما لا شك فيه أن "رسائل النور" ما كان لها أن تُقابل بهذا القبول لولا دفاعها عن القيم القرآنية النبيلة وتعاليمه السمحة التي "تقبل" الحق" نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلا من «القوة» .. وتجعل «رضى الله سبحانه» ونيل الفضائل هو الغاية، بدلا من «المنفعة» .. وتتخذ دستور «التعاون» أساسا في الحياة، بدلا من دستور «الصراع» .. وتلتزم برابطة «الدين» والصف والوطن لربط فئات الجماعات بدلا من العنصرية والقومية السلبية .. وتجعل غاياتها الحد من تجاوز النفس الأمارة ودفع الروح إلى معالي الأمور، وإشباع مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية" (النورسي، 2011، صفحة 124).

إن المطلع على "رسائل النور" يقف على سعة اطلاع مؤلفها، وحسن نسج تأليفها، ووحدة هدفها المتمثل في محاولة الدفاع عن الدين الإسلامي السمح، لذلك أفينا بديع الزمان يحث على القيم التربوية والإصلاحية التي جاء بها القرآن الكريم، ووضحها وفسرها الرسول الأمين.

لقد حققت "رسائل النور" المبتغى منها، إذ أثرت في متلقيها تأثيرا بالغا؛ فكثر أتباع صاحبها ومريديه، وازدادت وثيرة مضايقات خصومه له، فعاش جل عمره متنقلا بين السجون والمنافي، بيد أن ذلك لم يزد سوى إصرارا على مواصلة الدفاع عن الإسلام ومصالح المسلمين.

2. منهج القيم التربوية عند النورسي

1. القيم التربوية الإسلامية عند النورسي

كان للمحيط الأسري المثقف الذي نشأ فيه النورسي الأثر الواضح في تحديد ملامح التربية الإسلامية التي حوتها مؤلفاته، إذ كان أبوه وإخوته من كبار علماء الدين في تركيا وقتئذ، فيسروا له سبل تحصيل العلم الشرعي على يد خيرة علماء عصره في نورس وغيرها من القرى المجاورة، ثم قاده حبه للعلم إلى النهل من جل مؤلفات علوم الدين قراءة وحفظا.

وبعد تعرفه على حقيقة الإسلام وإدراكه لحلاوة الإيمان أخذ على عاتقه إنقاذ معاصريه من الأخطار والسموم التي باتت تهدد دنياهم وآخرتهم، وذلك بإعادة نشر القيم التربوية الإسلامية التي حاول المد العلماني طمس هويتها، كما يقول البريطاني "وليم جلاديسون": "ما دام القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكما حقيقيا أبدا، فلنسع إلى نزعه منهم" (الأنصاري، 2006، صفحة 64).

المصالح، فكانت مؤلفاته بحق سراجا وهجا، ونورا وضاء، ساعدت على إحياء الدين من جديد من بعد ما حاربه الأعداء والخصوم.

2.1. واقع الإسلام في عصر النورسي

تطلق رسائل النور على مؤلفات بديع الزمان سعيد النورسي، وهي مؤلفات ذات فوائد علمية نورانية، ودعوات إصلاحية، لأنها في حقيقة الأمر "لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين وحده، بل تسعى أيضا وبيدها إعجاز القرآن لمداواة القلب العام، وضماد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيئت لها وحُشدت متراكمة منذ ألف سنة، وتتشط لمداواة الوجدان العام الذي توجّه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية ... نعم إنها تسعى إلى مداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان" (النورسي، 2011، صفحة 211).

إن الفترة التي عاش فيها النورسي، كانت من بين الدوافع وراء تأليف رسائله؛ فهي مرحلة عرفت ضعف وتدهور أحوال الدولة العثمانية، سياسيا واجتماعيا وفكريا، فاندثرت بذلك القيم الإسلامية، ودخل الحكام في معاهدات الصلح مع اليهود والنصارى وفق الشروط التي تخدم مصالحهم، وإن تعارضت مع الدين الإسلامي. فجاءت بذلك رسائل النورسي لتكون النور الهادي من جديد.

إلا أن هذه الرسائل قد عرفت مجموعة من المؤامرات من طرف الهيئات الحاكمة الرامية إلى التقليل من شأنها وشأن صاحبها؛ لإحساسهم بتأثيرها القوي في نفوس متلقيها بصفة عامة، وخدام النور بصفة خاصة، فقاموا بسجنه وتشديد الخناق عليه، بيد أن ذلك لم يزد سوى عزيمة قوية من أجل مواصلة التأليف والإبداع، فكثر أتباعه وناصروه، وكان الغرض من تلك المضايقات "استصغار قضية رسائل النور، ولكن على كل حال قد علموا أنها قضية عظيمة جدا، وأن جلبها للأنظار يفتح السبيل إلى فتوحات باهرة جديدة للرسائل" (النورسي، 2011، صفحة 361).

وكان بديع الزمان النورسي أول مؤمن بالقيمة الإيمانية التربوية، والدعوة الإصلاحية لرسائله، إذ يقول: "فله الحمد والمنة إن موازن رسائل النور قد بينت ثمرات الدين الإسلامي وحقائق القرآن، ونتائجها بيانا شافيا. بفيض الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم، بحيث لو فهمها حتى من لا دين له لا يمكن أن يكون غير موال لها" (النورسي، 1992، صفحة 42).

إن إيمان النورسي بالفائدة التربوية لـ "رسائل النور" نابع من إدراكه أنها عبارة عن فيوض رحمانية ألهمه الله إياها بغية مداواة المشاكل الدينية، والجروح الروحية التي أصابت المجتمع الإسلامي في عصره، ولذلك نجده يشير إلى بعض دلائل إعجاز القرآن الكريم، وبعض الفضائل الأخلاقية السامية التي تظهر عظمة الخالق وحسن صنعه، لإيمانه أن معرفة خالق الكون ومدبر أموره تتم عن "طرائق كثيرة، وسبل عديدة. ومورد جميع الطرائق الحقّة ومنهل السبل

كل حين، وهو ربي وإلهي وهو الرحيم والرؤوف بي. فإيماني هذا لذة ما بعدها لذة، لذة كافية دائمة وسعادة خالصة نقيّة لا يعكرها ألم" (النورسي، 2011، صفحة 79).

ويستشف من النص أن المؤمن ينعم بلذة العيش وحلاوته، لأن جوهر الحياة وروحها هو الإيمان وفق ما استنتجه مؤلف رسائل النور، يقول: "فعلمت بعلم اليقين سبب كون الحياة أرقى مخلوق في الكون، وسرّ كون كل شيء مسخراً للحياة، وحكمة وجود شوق فطري لدى الجميع نحو الحياة، وأن روح الحياة إنما هو الإيمان" (النورسي، 2011، صفحة 79).

إن نظرة بديع الزمان إلى الإيمان نظرة كلية لا تقبل التفريق، ولذلك فهو "حقيقة واحدة نابعة من ستة أركان مُتحدة وموحدة لا تقبل التفريق، وهو كلي لا يتحمل التجزئة، وهو كل لا تقبل أركانه الانقسام، ذلك لأن كل ركن من تلك الأركان الإيمانية - مع حججها التي تثبت - يُثبت بقية الأركان، فيصبح كل ركن حجة قاطعة عظمى لكل من الأركان الأخرى" (النورسي، 2005، الصفحات 69-70).

وعليه، فالإيمان له إسهام في إصلاح أحوال الناس وشؤونهم، لأنه مصدر العبادة الحقّة، والأخوة الصافية، والأخلاق العالية، ولولاه لما فضل الدين الإسلامي على باقي الديانات، لأنه لا يؤمن إلا "بعقيدة واحدة، تستدعي حتماً توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه، تقتضي وحدة المجتمع. فأنّت تستشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد، وبالعلاقة صداقة معه إن كنت تعمل معه تحت إمرة قائد واحد... فما بالك بالإيمان الذي يهب لك من النور والشعور ما يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج الأخوة الوفيرة" (النورسي، 1992، صفحة 341).

2.1.2. التربية على التهوين من الدنيا والتعلق بالآخرة

عالم بديع الزمان سعيد النورسي في مؤلفاته الأسباب المؤدية إلى سوء عاقبة الناس، وعدّ حب الدنيا والتعلق بها، وإغفال الآخرة وعدم التفكير فيها من أعظم تلك الأسباب، لإيمانه بأن "الأسباب الداعية إلى الدنيا كثيرة، والوسائل السائقة إليها وفيرة، وفي مقدمتها ما يحمله كل إنسان من نفس أمارة بالسوء" (النورسي، 2011، صفحة 118)، خصوصاً أن الإنسان يفضل الاستمتاع بالحظّة الآنية على التفكير في النجاح المؤجل، لأن النفس الإنسانية بطبيعتها "تفضل درهما من اللذة المعجلة على رطل من اللذة الغائبة المؤجلة، وهي تتحاشى صفة حاضرة أكثر من تحاشيها سنة من عذاب في المستقبل. وعندما تهيج أحاسيس الإنسان لا ترضخ لموازين العقل، بل الهوى الذي يتحكم، فيرجح عندئذ لذة حاضرة ضئيلة جداً على ثواب عظيم في العقبى، ويتجنب ضيقاً جزئياً حاضراً أكثر من تجنبه عذاباً مؤجلاً" (النورسي، 2011، صفحة 108).

إن الدنيا عند صاحب "رسائل النور" لا تساوي شيئاً، إذ المعول عليه في نظره هو التمسك بما أمر به الخالق واجتناب نواهيه،

ومن أهم القيم التربوية التي عمّد النورسي إلى إعادة إحيائها في المجتمع الإسلامي:

◀ التربية على التوحيد والإيمان

◀ التربية على التهوين من الدنيا والتعلق بالآخرة

◀ التربية على التمسك بالخصال المحمودة.

ولتبين هذا التوجه، سنحاول توضيح وشرح كل نقطة

2.1.1. التربية على التوحيد والإيمان

آمن النورسي بأن إصلاح المجتمع في عصره ينطلق من إصلاح علاقة الفرد مع خالقه، ولذلك جاهد من أجل حث الأمة على ضرورة توحيد الله تعالى، لإيمانه الجازم بأن جميع مزايا الإنسان ومقاصده مرتبطة بالتوحيد، أن الإنسان "بسر التوحيد صاحب كمال عظيم بين جميع المخلوقات، وهو أثنى ثمرات الكون، وألطف المخلوقات وأكملها، وأسعد ذوي الحياة ومُخاطب رب العالمين، وأهل ليكون خليله ومحبيه. حتى إن جميع المزايا الإنسانية، وجميع مقاصد الإنسان العليا مرتبطة بالتوحيد، وتتحقق بسر التوحيد فلولاً التوحيد لأصبح الإنسان أشقى المخلوقات وأدنى الموجودات ... ذلك لأن الإنسان يحمل عجزاً غير مناه، وله أعداء لا نهاية لهم، وينطوي على فقر دائم لا حدود له وحاجات لا حدود لها" (النورسي، 2011، صفحة 13).

ويرى في موطن آخر من مؤلف "الشعاعات" أنه "بسر التوحيد يفهم أن الكون برمته كتاب صمداني ينطوي على معاني عميقة غزيرة، إن الموجودات بأسرها مجموعة مكاتيب سبحانه في منتهى الإعجاز، وإن المخلوقات بجميع طوائفها جنود ربانية في غاية الانتظام والهيبة" (النورسي، 2011، صفحة 13)، كما يدعو كذلك إلى التمعن في أعضاء كل كائن من الكائنات الحيّة للتعرف على الخالق الواحد الأحد عندما قال: "ثم تأمل في أعضاء كائن حي من الأحياء التي لا تعد ولا تحصى، ودقق في أجهزته وفي حواسه .. ترى فيها من الانسجام التام والتناسق الكامل. والموازنة الدقيقة ما يدلك بدهشة على الصانع الذي هو "العدل الحكيم"" (النورسي، 2005، صفحة 231).

والمستفاد من الأمثلة المقدّمة أن صاحب "رسائل النور" يميل في تبرير مواقفه وتوجيهاته على الأدلة الحسيّة الملموسة الشاهدة على وحدانية الخالق وتفرده، ما ساعد على سرعة تفاعل القراء مع مضامينها، وذبوع صيتها، وتحقيق بعض أهداف وغايات صاحبها.

وبعد توضيحنا لموقف بديع الزمان سعيد النورسي من الحاجة إلى تربية الناس على التوحيد، يجدر بنا أن نشير أيضاً إلى تأكيد أهمية التربية على الإيمان بالله تعالى، إذ بين في مواضع عديدة من مؤلفاته أن لذة الإيمان بالله تعالى لا تقارن بأي لذة، يقول: "إن أصفى لذة وأنقى سعادة لحياتي هذه، إنما هو في الإيمان. أي: الإيمان الجازم بأنني مخلوق من خلقي ورباني، فأنا مصنوعه وعبدته وتحت رعايته ومحتاج إليه في

إن غاية النورسي من تعداد الخصال الذميمة التي استفحلت في المجتمع الإسلامي، وكذا التنبيه إلى أضرارها على الفرد والمجتمع، هو العمل على تجنب خطورتها وتخليص الأمة من عواقبها.

وما يثبت ما قلناه، عَرَضَ المؤلِّف لمجموعة من الخصال الحميدة التي يجب أن يُقتدى بها بهدف تذكير الناس بالقيم التربوية والأخلاقية الرفيعة التي يدعو الإسلام إلى نشرها والتعامل بها، ومن أهم تلك الخصال الدعوة إلى التحلي بالصدق والتعاون والمحبة، فالصدق في اعتقاده "هو أساس الإسلامية، وهو خاصة الإيمان، بل الإيمان صدق ورأسه.. وهو الرابط لكل الكمالات.. وهو الحياة للأخلاق العالية.. وهو العرق الرابط للأشياء بالحقيقة.. وهو تجلّي الحق في اللسان.. وهو محور ترقّي الإنسان.. وهو نظام العالم الإسلامي.. وهو الذي يُصير أحمد الناس وأفقره أعزّ من السلاطين.. وبه تفوق أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام على جميع الناس.. وبه ارتفع سيدنا محمد الهاشمي عليه الصلاة والسلام إلى أعلى عليين مراتب البشر" (النورسي، 2002، صفحة 99)، وبالصدق تسود المحبة وتشيع المودة.

وإذا كان الإخلاص أساس كل الفضائل الحسنة والأخلاق السامية، فإن بديع الزمان النورسي قد خصّه بعناية بالغة، يقول: "يا إخوة الآخرة! ويا أصحابي في خدمة القرآن! اعلّموا _ وأنتم تعلمون _ أن الإخلاص في الأعمال ولا سيما الأخروية منها، هو أهم أساس، وأعظم قوة، وأرجى شفيق، وأثبت مرتكز، وأقصر طريق للحقيقة، وأبرّ دعاء معنوي، وأكرم وسيلة للمقاصد، وأسمى خصلة..". (النورسي، 2011، صفحة 221).

وأجمالاً، إذا لم يسيطر الإيمان على أفراد المجتمع "فسيستولي عليهم الحقد والمنافع الشخصية والاحتيايل والأنانية والتكلف والرياء والرشوة والخداع، بدلاً من أسس الأخلاق الحميدة التي هي الإخلاص والمروءة والفضيلة والمحبة والتضحية ورضى الله والثواب الآخروي" (النورسي، 2011، صفحة 269).

2.2. منهج القيم التربوية عند النورسي

تتفاضل المؤلفات من حيث حُسن نسج عباراتها، ووضوح معانيها، ودقّة منهجها، لأن التفكير المنهجي الواعي يساعد المتلقي على استيعاب مضامين المصنفات، ويفتح آفاقاً لمناقشة أفكارها ومحاولة تجاوزها أحياناً أخرى. وقد استفاد بديع الزمان سعيد النورسي من جهود الفقهاء وعلماء اللغة والأدب والبلاغة القدماء في المجال ذاته، إذ تظهر مؤلفاته المسماة "رسائل النور" بعداً منهجياً ساعد على تبليغ أهدافه الإصلاحية.

والمأمل في المنهج الذي اتبعه المؤلف في تبليغ توجيهاته التربوية، يدرك استخدامه ثلاث آليات وهي: آلية المقارنة، وآلية البرهان العقلي، وآلية التكرار، ولتوضيح ذلك سنفصل الحديث عن كل آلية.

أملاً في نيل مرضاته وبلوغه جنّاته. ومن ثمة، فالدنيا من منظوره "دار ضيافة، تتبدل بسرعة وتتغير على الدوام، فهي ليست دار قرار ولا موطناً حقيقياً، لذا فإن نواحيها كافة على حد سواء. فما دمت لا أظل في موطني، ولا قرار لي فيه، فإن محاولة الرجوع إليه عبث لا طائل وراءه" (النورسي، 1992، صفحة 92)، ويردّف هذا الكلام بنص آخر يُبيّن فيه أهمية التشبث بالأشياء الجوهرية الدائمة لا العارضة المؤقتة، بقوله: "إنني ما أبرئ نفسي أبداً، إنها تروم كل فساد. ولكن خسران حياة دائمة وسعادة خالدة لأجل لذة قليلة، في هذه الدنيا الفانية، في هذا المضيف المؤقت.. ليس من شأن العقلاء ولا يليق بذوي الشعور، لذا انقادت نفسي الأمانة - شاءت أم أبت - للعقل ورضخت له" (النورسي، 1992، صفحة 86).

ومن ثمة، فالنورسي في مؤلفاته كان يغلب العقل على الهوى، والحكمة على البذاءة، ولذلك ألفيناه يربي نفسه والأمة التركية خاصة ومعاصريه عامة على التقليل من شأن الدنيا الفانية والتمسك بالحياة الآخرة الأبديّة والدائمة، ويحذر من العواقب الوخيمة التي يَنالُها المتمسكون بالحياة الأولى، ويبرز بعض الفوائد الكثيرة والنعم العديدة التي يجنيها المتمسكون بالحياة الثانية.

2.1. 3. التربية على التمسك بالخصال المحمودة

إن التعلق بالدنيا وعدم التفكير في الآخرة، يؤدي حتماً إلى الوقوع في جملة من الممارسات السلبية والأخلاق الفاسدة، التي تتعارض كلياً مع مبادئ الرسالات السماوية وما أقره الله في القرآن، ويبيّن الرسول محمد في أقواله وأفعاله. ولذلك نبه النورسي إلى خطورة تفشي مجموعة من الخصال الذميمة في المجتمع الإسلامي الذي عاش فيه، وعزا بعضها إلى ما "يسببه التحايز والعناد والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين، وما يوغر في صدورهم من حقد وغل وعداء، مرفوض أصلاً. وترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى. فضلاً عن أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة" (النورسي، 1992، صفحة 338).

وما قاله النورسي عن التحايز والعناد والحسد لا يختلف في نظره على ما يُحدثه الكذب من التفرقة والشتات، لأن "الكذب أساس الكفر، بل الكفر كذب ورأس الكذب، وهو الأولى من علامات النفاق. وما الكذب إلا افتراء على القدرة الإلهية، وضد للحكمة الربانية.. وهو الذي خرب الأخلاق العالية.. وهو الذي صير التشبثات العظيمة كالشبهات المنتنة.. وبه انتشر السم في الإسلام.. وبه اختلطت أحوال نوع البشر.. وهو الذي قيّد العالم الإنساني عن كمالاته، وأوقفه عن ترقياته.. وبه وقع أمثال مسيلمة الكذاب في أسفل سافلين الخسة.. وهو الحمل الثقيل على ظهر الإنسان فيوقعه عن مقصوده.. وهو الأب للرياء والامّ للتصنع.. فلهذه الأسباب اختص بالتلعين والتهديد والنعي النازل من فوق العرش..". (النورسي، 2002، الصفحات 98-99).

2.1. آلية المقارنة

فهما يتكاملان ويتعاونان من أجل إقناع الخصوم وإثبات صحة الآراء والأفكار.

ولقد استغل النورسي هذه الآلية الحجاجية أفضل استغلال في رسائله التربوية، والأمثلة الشاهدة على ذلك عديدة لعل من أبرزها ما قاله في معرض إثباته لوحداية الخالق وتفرده من خلال الدعوة إلى التأمل في إتقان صنع المخلوقات بمختلف أنواعها وأحجامها، وانسجام أعضائها ومكوناتها، يقول: "إذا أسندت جميع الموجودات إلى الصانع الواحد، فالموجودات كلها تسهل كالموجود الواحد ويكون كل موجود ذا قيمة عالية كالموجودات كلها من حيث الإتقان والإبداع. كما أن دقائق الصنعة المتقنة الموجودة في كل موجود رغم الوفرة في الموجودات تبين هذه الحقيقة.

بينما إن لم تسند تلك الموجودات إلى الصانع الواحد بالذات فإن كل موجود عندئذ يكون ذا مشاكل بقدر مشاكل الموجودات كلها" (النورسي، 1992، صفحة 322).

ومن الأدلة الأخرى الموضحة هذه الآلية، ما أشار إليه النورسي مُقراً بصحة وجود الآخرة "فالذي يريد أن ينكر الآخرة عليه أن ينكر وجود هذا الكون أولاً بجميع ما فيه من حقائق. وإلا فالكائنات مع حقائقها المتأصلة فيها تكذبه بألوف من الأسنة، وتثبت له أنه الكذاب الأشر" (النورسي، 2005، صفحة 234).

وإجمالاً، فلائحة البرهان العقلي أهميتها الكبيرة في إثبات الحقائق الوجودية، لأنها تتميز بقوة تأثيرية وإقناعية كبيرتين. ومن ثمة فالتأمل في المثاليين المقترحين سيدرك تمام الإدراك وحدة الخالق وفرادته بمجرد التأمل في أسرار الكون، وفي دقة صنع المخلوقات والتكامل الحاصل بينها، كما تجعله تلك الأسرار يؤمن بالآخرة، وبكل الحقائق التي أخبر بها الحق سبحانه.

2.2.3. آلية التكرار

خصّ النورسي آلية التكرار بعناية بالغة في مؤلفاته، ويهدف من خلال الاعتماد عليها تأكيد أهمية الجوانب التربوية والحقائق الإيمانية التي يسعى إلى إعادة غرسها في المجتمع التركي الذي فقد مجموعة من مبادئه ومقوماته بفعل المد العلماني الذي طال بلده آنذاك. ومما يدل على ذلك قول المؤلف "إن رسائل النور تفسير للقرآن الكريم، تفسير نابع من القرآن مدعم بالبراهين، لذا فإن فيها تكرارات ضرورية مساقاة لحكمة ومصلحة كالتكرارات القرآنية اللطيفة" (النورسي، 2011، صفحة 89).

ولقد وردت آلية التكرار عند النورسي بصورتين متباينتين، الأولى منهما همت تكرار نصوص بعينها في مؤلفين من مؤلفاته، والثانية أعادت مضامين النصوص.

النموذج الأول: إعادة الكاتب للنص نفسه في مؤلفي "الشعاعات"

تعد آلية المقارنة من أهم الآليات التي اعتمدها النورسي بغية تقريب مشروعه التربوي التنويري إلى أذهان المتلقين له، ويبقى هذا الأسلوب من الأساليب التي احتفى بها الخطاب القرآني، إذ يقارن في الأغلب الأعم بين أعمال الصالحين وأعمال الطالحين، وبين جزاء أهل الجنة وجزاء أهل النار، كما استخدمت في الأحاديث النبوية الشريفة، والخطب والمناظرات والخطابات الحجاجية.

يقول بديع الزمان سعيد النورسي مقارناً بين الشخص الذي يتعلق قلبه بالدنيا والشخص الذي يتعلق قلبه بالآخرة "فالذي ينسى نفسه ويغفل عنها، ولم يفكر بزوال حياته، وحسب دنياه الخاصة الفانية ثابتة كالدينا العمومية، ناسياً زوال الحياة، عاداً نفسه خالداً فيها فسكن إليها وتمسك بها بجميع حواسه ومشاعره يعرق فيها وينتهي أمره. فتكون تلك المحبة وبالا عليه ... أما الشخص الذي نجا من شبك الغفلة، فإنه يجد بلسماً شافياً إزاء شدة ألم الشقة تلك، إذ يشاهد في موت ذوي الحياة وفي زوال من يتألم لأوضاعهم، بقاء مرآيا أرواحهم التي تمثل تجليات دائمة لأسماء دائمة لذات جميلة باقية خالدة" (النورسي، 1992، صفحة 14).

وعقد المؤلف مقارنة أخرى بين تربية الفلسفة للتلاميذ وتربية القرآن، يقول: "فالتلميذ المخلص للفلسفة "فرعون" ولكنه ذليل، إذ يعبد أخس شيء لأجل منفعة، ويتخذ كل ما ينفعه ربا له. (...) ثم إن ذلك التلميذ "نفعي ومصلحي" لا يرى إلا ذاته. فغايتة همته تلبية رغبات النفس والبطن والفرج، وهو "دساس مكار" يتحرى عن مصالحه الشخصية ضمن مصالح الأمة.

بينما تلميذ القرآن المخلص هو عبدٌ ولكنه عبد عزيز لا يستذل لشيء حتى لأعظم مخلوق، ولا يرضى حتى بالجنة، تلك النعمة العظمى غاية لعبودية الله، ثم أنه تلميذ متواضع، لين هين ولكنه لا يتدلل بإرادته لغير فاطره الجليل ولغير أمره وإذنه، ثم أنه فقير وضعيف موقن بفقره وضعفه، ولكنه مُستغنٍ عن كل شيء بما اذخره له مالكه الكريم من خزائن لا تنفذ في الآخرة" (النورسي، 2005، صفحة 153).

ولقد اعتمد صاحب رسائل النور كثيراً على آلية المقارنة في كتاباته، لإيمانه بأهميتها ودورها في تبليغ مشروعه التربوي وأفكاره التنويرية إلى المتلقين، لكننا اكتفينا بإيراد نموذجين للتوضيح والبيان.

2.2.2. آلية البرهان العقلي

تعتبر آلية البرهان العقلي من أكثر الآليات استعمالاً في الخطابات الحجاجية الإقناعية لما لها من تأثير في الطرف المخاطب، خصوصاً أن فئة عريضة من الناس تصدق هذا النوع من البراهين أكثر من تصديقها للبرهان النقلي، ومع ذلك

إلى الصانع الواحد، فالموجودات كلها تسهل كالموجود الواحد ويكون كل موجود ذا قيمة عالية كالموجودات كلها من حيث الإتقان والإبداع. كما أن دقائق الصنعة المتقنة الموجودة في كل موجود رغم الوفرة في الموجودات تبين هذه الحقيقة" (النورسي، 1992، صفحة 322).

خاتمة

ونخلص إلى أن بديع الزمان سعيد النورسي يعد واحدا من العلماء المعاصرين الذين سَخَّروا حياتهم وجهودهم لخدمة الدين الإسلامي وللدفاع عن مصالحه، وترسيخ مبادئه.

ولعل أهم ما ركزت عليه مؤلفاته المسماة بـ "رسائل النور" محاولة إعادة نشر العديد من القيم الإسلامية التي حاول المد العلماني طمسها؛ وبالأخص في عهد الرئيس مصطفى كمال أتاتورك الذي حوّل مجموعة من المساجد إلى كنائس، وألغى التعليم الديني وتطبيق الشريعة الإسلامية، وحضر الأذان بالعربية.

وبهدف إحياء وبعث القيم الإسلامية دعا النورسي قراء رسائله إلى ضرورة توحيد الله وعدم الشرك به، وإلى التمسك بالخصال الحمودة كالصدق والعدل والتعاون والتأزر وتجنب الشرك والكذب والظلم، وكذا إلى أهمية التعلق والتمسك بالآخرة أي الدار الأبدية والتهوين والتقليل من شأن الدنيا الزائلة.

ولقد اعتمد بديع الزمان سعيد النورسي في مشروعه النوراني على منهج محكم سهّل على القراء عامة وعلى أتباعه خاصة فهم واستيعاب أفكاره ورسائله. كما اعتمد سُلّم حاجي مضبوط مزج فيه بين الحجج النقلية والحجج العقلية، ومن أهم الآليات الإقناعية التي وظفها في مؤلفاته آلية المقارنة وآلية البرهان العقلي وآلية التكرار.

إن الانخراط في أي عمل إصلاحي يبتغي من خلاله صاحبه إفادة مجتمعه وتوعية أفراده ونيل مرضاة الله تعالى؛ يجد أصحابه مجموعة من العوائق والمشاكل، والأمر ذاته حدث للمجدد سعيد النورسي الذي زج به في السجن أكثر من مرة، لكنه لم يستسلم وواصل بإصرار الدفاع عن مشروعه بغية إنجاحه وتحقيق أهدافه.

المصادر والمراجع

- سعيد النورسي. (1992). المكتوبات. (إحسان قاسم الصالحي، المترجمون) القاهرة: شركة سوزلر للنشر.
- سعيد النورسي. (2002). إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز (الإصدار ط3). (إحسان قاسم الصالحي، المترجمون) القاهرة: شركة سوزلر للنشر.
- سعيد النورسي. (2005). ذو الفقار مجموعة رسائل المعجزات الأحمديّة ورسائل الحشر (الإصدار ط1). (إحسان قاسم الصالحي، المترجمون) القاهرة: شركة سوزلر للنشر.
- سعيد النورسي. (2005). عصا موسى تبديد الظلمات وتمحق سحر الماديات (الإصدار ط2). القاهرة: شركة سوزلر للنشر.
- سعيد النورسي. (2011). الشعاعات (الإصدار ط6). (إحسان قاسم الصالحي،

و"ذو الفقار"، والذي يتحدث عن التغيير الذي أحدثه القرآن في الحياة الاجتماعية، ويقول فيه النورسي: "إن القرآن الكريم قد بدّل الحياة الاجتماعية تبديلا هائلا نُورَ الأفاق وملاها بالسعادة والحقائق، أحدث انقلابا عظيما سواء في نفوس البشر وفي قلوبهم، أو في أرواحهم وفي عقولهم، أو في حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية ... فيربي الناس ويزكي نفوسهم، ويصفي قلوبهم، ويمنح الأرواح انكشافا ورقيا، والعقول استقامة ونورا، والحياة حياة وسعادة. فلا شك أنه لا نظير لمثل هذا الكتاب ولا شبيه له ولا مثيل" (النورسي، 2011، صفحة 165) (النورسي، 2005، صفحة 111).

النموذج الثاني: إعادة الكاتب للنص ذاته في مؤلّفي "الشعاعات" و"اللمعات"، والذي يتطرق فيه للإحساس الذي تملكه لحظة الزج به في السجن، يقول: "وانما نظرت مباشرة إلى قلبي وتحسست روحي، فرأيت أنه يسيطر عليّ عشقٌ في منتهى القوة للبقاء، وتهيمن عليّ محبة شديدة للوجود، ويتحكم فيّ شوقٌ عظيم للحياة.. مع ما يكمن فيّ من عجز لا حد له، وفقر لا نهاية له. غير أن فناء مهولا مدهشا يطفئ ذلك البقاء ويزيله" (النورسي، 2011، صفحة 65) (النورسي، 2011، صفحة 355).

أما الصورة الثانية، فتتجلى في تكرار مضامين النصوص ذاتها بصيغ مختلفة ومتباينة، وهذا الصنف أكثر حضورا في مؤلفات بديع الزمان، التي تحاول إظهار وحدانية الله تعالى، وتثبيت الحقائق الإيمانية، ولتوضيح ذلك نورد نموذجين:

النموذج الأول: عرّض النورسي لنصين يظهران العدالة الإلهية في الكون، يقول في الشعاعات: "وانظر إلى الكون أجمع، لقد ضمّ العدل الإلهي جميع موجوداته تحت جناح ميزانه ويديم موازنة الأجرام العلوية والسفلية، ويعطيها التناسب والتلاؤم الذي هو أساس للجمال، ويجعل كل شيء في أفضل وضع وأجمله، ويعطي كل ذي حياة حق الحياة" (النورسي، 2011، صفحة 84).

ويقول في مجموعة عصا موسى "نعم، فكما لا إسراف في شيء، فلا ظلم كذلك ظلما حقيقيا في شيء، ولا بخس في الميزان قط، بل إن التطهير والطهر الصادر من التجلي الأعظم لاسم "القدوس"، يعرض الموجودات بأبهى صورتها وأبدع زينتها، فلا ترى ثمة قدرة في موجود، ولا تجد قبحا أصيلا في شيء ما لم تمسه يد البشر الوسخة" (النورسي، 2005، صفحة 232).

النموذج الثاني: ذكر المؤلف لنصين يشيران إلى أن المخلوقات تثبت وحدانية الخالق وعظمته، إذ يرى في كتاب "الشعاعات" أن "جميع ما في الكون من حكم سامية ومن جمال خارق ومن قوانين عادلة ومن غايات حكيمة، إنّما تدل بالبدهة على وجود الكمالات.. وهي شاهدة ظاهرة على كمال الخالق سبحانه الذي أوجد هذا الكون من العدم، ويدبر أمره في كل جهة وناحية" (النورسي، 2011، الصفحات 182 - 183)

ويقول في كتاب "المكتوبات" أيضا: "إذا أسندت جميع الموجودات

الترجمون) القاهرة: شركة سوزلر للنشر.

● سعيد النورسي. (2011). اللمعات (الإصدار ط6). (إحسان قاسم الصالحي، المترجمون) القاهرة: شركة سوزلر للنشر.

● فريد الأنصاري. (2006). آخر الفرسان مكابدات بديع الزمان سعيد النورسي (الإصدار ط1). القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر.

● محمود محمد شاكر. (1996). التاريخ المعاصر تركيا (الإصدار ط2). بيروت: المكتب الإسلامي.

- كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

عبد العزيز التزكيني (2024) منهج القيم التربوية في رسائل النور، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 16، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص: 249-256